

خطبه الجمعة - الخطبة ١٤٠ : خ٢ - التعاون ، خ١ - وما يعلم جنود ربك إلا هو .

لضيالة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٩-٠٨-١٩٨٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الخطبة الأولى :

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كانَ لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ، وَمَا تَوْفِيقِي ،
وَلَا اعْتِصَامِي ، وَلَا تَوْكِيدِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، إِقْرَارًا
بِرَبُوبِيَّتِهِ ، وَإِرْغَامًا لِمَنْ جَدَ بِهِ وَكَفَرَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ
سَيِّدَ الْخَلْقِ وَالْبَشَرِ مَا اتَّصَّلَتْ عَيْنُ بَنْظَرٍ ، وَمَا سَمِعْتُ أَذْنَ بَخْرَ .
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدًا ، وَعَلَى آلِهِ وَاصْحَابِهِ ، وَعَلَى ذَرِيَّتِهِ وَمِنْ وَالَّاهِ وَمِنْ
تَبْعِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

اللَّهُمَّ عَلِمْنَا مَا يَنْفَعُنَا وَانْفَعْنَا بِمَا عَلِمْتَنَا وَزَدْنَا عِلْمًا ، وَأَرْنَا الْحَقَّ حَقًا وَارْزَقْنَا اتِّبَاعَهُ ، وَأَرْنَا
الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَارْزَقْنَا اجْتِبَابَهُ ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ، وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ
فِي عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ .

آيات ثلاثة من سورة المائدة :

أيتها الإخوة المؤمنون ؛ في سورة المائدة آيات ثلاثة .

الآلية الأولى : التعاون .

الأولى وهي قوله تعالى :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُوانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ ﴾

[سورة المائدة الآية ٢ :]

تعاونوا فعل أمر ، والأمر في القرآن يقتضي الوجوب ، فنحن جميعاً يا أيتها الإخوة المؤمنون
аемرون بالتعاون لا بالتنافس ، ولا بالتحاسد ، ولا بالتباغض ، ولا بالتدابر ، ولستنا مأمورين أن
يبيع بعضنا على بيع بعض ولا أن نفسد على بعضنا بعضاً ، فإن كنتَ يا أخي مؤمناً ، وإن كنتَ
مصدقاً فهذه الآية تعنيك ، ما من مجتمع أحرزَ تقدماً إلا بفضل التعاون ، وما من مجتمع تخلفَ
إلا بسبب التنافس والعداوة والبغضاء ، إنَّ في التنافس والعداوة والبغضاء جهوداً كبيرة جداً تذهبُ
سدى ، قال تعالى :

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَنَفْشُلُوا وَتَذَهَّبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

[سورة الأنفال الآية ٤٦ :]

معنى تفشلوا أيٌّ تضعفوا ، لمجرد أن يُنشِّبَ نزاعٌ بين أفراد الأمة فإن في هذا النزاع ضعفًا للأمة ، قال تعالى :

﴿وَلَا تَنَازَّعُوا فَفَشَلُوكُ وَتَذَهَّبَ رِيحُكُمْ﴾

[سورة الأنفال الآية : ٤٦]

أيُّ ريحٍ هذه ؟ إنَّ للمؤمنين هيبةً ، وسمعةً ، هذه الهيبة ، وتلك السمعة تذهب سُدًى ، وفي أدراج الرياح ، قال تعالى :

﴿وَتَعَاوَنُوكُ عَلَى الْبِرِّ وَالْتَّقْوَى﴾

[سورة المائدة الآية : ٢]

وما الفرق بين البرّ والتقوى ؟

علماء التفسير قالوا : البرّ صلاح الدنيا ، والتقوى صلاح الآخرة .

لابد من التعاون على شؤون الدنيا ، وحل الأزمات ، و توفير الزواج ، والأعمال ، هذا من صلاح الدنيا .

كيف يُصغي لك الشاب إن كان مستقبله مهدداً ؟ لا عمل ولا بيت ولا زواج ، قال تعالى :

﴿وَتَعَاوَنُوكُ عَلَى الْبِرِّ وَالْتَّقْوَى﴾

[سورة المائدة الآية : ٢]

إنَّ تأمين زوجين في بيت أفضل من ثمانين حجّةً بعد حجّة الإسلام ، والتقوى صلاح الآخرة ، ليتصحّب بعضكم بعضاً ، قال تعالى :

﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

[سورة آل عمران الآية : ١٠٤]

إنَّ فقهتَ آيةَ بِلَّغَها لأخيك ، إنْصَحَّهُ وبلغَ له الحكم الشرعي ، بينَ له معنى هذه الآية ، ومالَ هذه المعصية ، وطريق الشقاء ، كيف أنه يبدأ من معصية الله سبحانه وتعالى ؟ قال تعالى :

﴿وَتَعَاوَنُوكُ عَلَى الْبِرِّ وَالْتَّقْوَى﴾

[سورة المائدة الآية : ٢]

إنَّ تدريس العلم من باب التعاون على التقوى ، إنَّ حضور مجالس العلم من باب التعاون على التقوى ، إنَّ مُدارسة القرآن من باب التعاون على التقوى ، قال تعالى :

﴿وَتَعَاوَنُوكُ عَلَى الْبِرِّ وَالْتَّقْوَى﴾

[سورة المائدة الآية : ٢]

نحن جميعاً كمؤمنين مأمورو من قيل الله سبحانه وتعالى أن نتعاون على البرّ والتقوى . ثم يقول تعالى :

﴿وَلَا تَعَاوَنُوكُ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُوانِ﴾

[سورة المائدة الآية : ٢]

كأنَّ الإثم هو التغريط في حقَّ الله عز وجل ، وكأنَّ العُدوان هو التغريط في حقَّ العباد ، لا تعتدي على حقَّ العباد ، ولا على الحقَّ الذي الله عليك ، أتُقيم الصلوات الخمس ؟ أتعْضَ بصرك عن حرام الله تعالى ؟ أتحرّى الحلال في دخلك ؟ أتُقيم شرُع الله في بيتك ، قال تعالى :

﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُوانِ ﴾

[سورة المائدة الآية : ٤٢]

المسلمون أحياناً يتفاعلون ، أين وعدُ الله ؟ نحن من أمَّة محمد صلَّى الله عليه وسلم ، ونحن مسلمون .

الآية الثانية : المعنى الدقيق للمعيبة .

الله سبحانه وتعالى في آية ثانية قال :

﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَفَمْتُ الصَّلَاةَ وَأَتَيْتُ الزَّكَةَ وَأَمْتَنْتُ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لِأَكْفَارَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلُ ﴾

[سورة المائدة الآية : ١٢]

ولكنَّ معيَّتي مشروطة ، إنِّي معكم بعلمي ، وقدرتني ، وبالنصر ، وبال توفيق ، بالتمكين ، وبالاستخلاف ، إنِّي معكم ، ولكنَّ هذه المعيبة مشروطة قال تعالى :

﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَفَمْتُ الصَّلَاةَ ﴾

[سورة المائدة الآية : ١٢]

لم يقل الله لئن صلَّيت ، فالكلَّ يُصلِّي ، لئن أقمت الصلاة ، فالصلاحة بناء ، تحتاج إلى إقامة ، ومن إقامة الصلاة الاستقامة على أمر الله ، وتطبيق شرُع الله تعالى في البيع والشراء ، إنَّ الدين لا يبدُو دينه وهو في المسجد ، وهو في الحجَّ ، وهو في شهر رمضان ، إنَّ المؤمن يبدو دينه في السوق وفي البيع والشراء ، وفي علاقته مع جاره ، ومع زوجته ، وأولاده ، وأقربائه . يا أيها الإخوة المؤمنون ؟ قال تعالى :

﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَفَمْتُ الصَّلَاةَ ﴾

[سورة المائدة الآية : ١٢]

الصلاحة ميزان ، فمن وفَى استوفى ، من وفَّاها حقَّها استوفى ثمراتها ، الصلاة نور ، وطَهُورٌ ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾

[سورة العنكبوت الآية : ٤٥]

قال تعالى :

﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَفَمْتُ الصَّلَاةَ وَأَتَيْتُ الزَّكَةَ وَأَمْتَنْتُ بِرُسُلِي ﴾

[سورة المائدة الآية : ١٢]

كأنَّ الله سبحانه وتعالى أراد من الصلاة مطلق العبادات ، وأراد من الزكاة مطلق الأعمال الصالحة ، وكأنَّ الدين كله يتلخص بكلمتين ؛ صلةٌ بالله وإحسانٌ إلى خلق الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَأُوصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتَ حَيَاً ﴾

[سورة مريم الآية : ٣١]

أقاموا الصلاة وآتوا الزكوة ، كأنَّ الصلاة فيها إشارةٌ إلى مطلق العبادات ، وكأنَّ الزكوة فيها إشارةٌ إلى مطلق الأعمال الطيبة التي ترکو بها النفس ، قال تعالى :

﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعْكُمْ لَئِنْ أَقْمَتُمُ الصَّلَاةَ وَأَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَأَمْتَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ ﴾

[سورة المائدة الآية : ١٢]

عَزَّرْتُمُوهُمْ أي أعنتموههم على تأدية مهمتهم ، وصدقتموههم ، وبَلَّغْتُمْ ما يقولون للناس ، وعاونتموهם ، كنتم معهم ، يا رسول الله ؛ هذا موقف الأنصار ، امض لما أراك الله فنحن معك ، لا يختلف منا رجلٌ واحدٌ ، إنما لصدق في الحرب ، صبر عن اللقاء ، خذ من أموالنا ما شئت ، ودع منها ما شئت ، وصل جبال من شئت ، واقطع حيال من شئت ، وسلام من شئت وعادي من شئت ؟ هذا موقف ، قال تعالى :

﴿ وَأَمْتَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَفْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَنَاً ﴾

[سورة المائدة الآية : ١٢]

فعلتَ هذا العمل ، كلفك جهداً ، ووقتاً ، وما لا ، ولم تأخذ عليه شيئاً ، ابتغيتها عند الله عز وجل ، ما من صاحبٍ مصلحةٍ ، وما من واحدٍ منكم حصرًا إلا وله عمل ، ويستطيع من خلال عمله أن ينفع المسلمين ، يستطيع الطبيب إذا رأى طبيباً فقيراً أن يعالجه مجاناً ، ويقرضُ هذا العمل عند الله عز وجل ، استخلفني طبيب ، وقال لي : بالله عليك ، إن رأيتَ مؤمناً فقيراً بحاجةٍ إلى عملية جراحية فأنا أجريها له مجاناً ، وأحتسبها عند الله تعالى ، المحامي إذا رأى فقيراً مظلوماً ، ويستطيع بعلمه وحكمته وفهمه بالقوانين أن يترافق ليدافع عنه ، ويحصل له حقه ، ويجعل هذا العمل خالصاً لوجه الله تعالى .

﴿ وَأَفْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَنَاً ﴾

[سورة المائدة الآية : ١٢]

والصيادي ، والتاجر ، والصانع ، والمزارع ، والبائع ، والموظف الذي يأتيه المرابع وهو جاهلٌ وصاحبٌ حاجةٌ ، ويأتي من مكانٍ بعيدٍ ، يستطيع أن يقف ويخدمه ، ويؤمن له حقه ، ويحتسبُ هذا عند الله تعالى ، وقال الله تعالى :

﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعْكُمْ لَئِنْ أَقْمَتُمُ الصَّلَاةَ وَأَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَأَمْتَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَفْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَنَاً ﴾

[سورة المائدة الآية : ١٢]

أي عملتَ عملاً صالحًا كلفك جهداً ، ووقتاً ، وما لا ، ولا تتبغي به إلا رضاء الله عز وجل ، أمضيتَ معه يوماً ، وأنفقت عليه من مالك ، وقدمنت له شيئاً ثميناً ، وقلت له : لا أريد منك شيئاً

، حسبي الله ونعم الوكيل ، إن فعلتَ هذا كان الله تعالى معك ، وإذا كان الله معك فمن عليك ؟ من يجرؤُ على وجه الأرض أن يكون عليك إذا كان الله معك ؟ وإذا تخلى الله عنك أقرب الناس إليك ؛ زوجتك تقسو عليك ، وتُسمِّيك كلماتٍ مهينة ، ابنةُ الذي ربَّته يقوس عليك ، إذا تخلى الله عنك لا أحد في الأرض يستطيع أن يكرمك ، وإذا كان الله معك سخر لك أعداءك ، قال تعالى :

﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعْكُمْ لَئِنْ أَفَمْتُ الصَّلَاةَ وَأَمْتَمْتُ الزَّكَاةَ وَأَمْتَمْتُ بِرُّسُلِي وَعَزَّزْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لِأَكْفَرِنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَا دُخْلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلُ ﴾

[سورة المائدة الآية : ١٢]

ما أبعدَ الضلال ؟ ما أبعدَ عن السعادة ؟ ما أبعدَ عن الحقيقة ! وعن الهدف ، ضلَّ سواءَ السبيل ، قال تعالى :

﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعَاهُ مَتَّاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾

[سورة القصص الآية : ٦٦]

الآية الثالثة : إنَّ اللَّهَ لَا يَعْذِبُ أَحْبَاؤَهُ بِلَيْتَهُمْ وَيَمْتَحِنُهُمْ .

يا أيها الإخوة المؤمنون ؛ الآية الثالثة قوله تعالى :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحْبَاؤُهُ ﴾

[سورة المائدة الآية : ١٨]

والمسلمون اليوم يدعون هذا ، نحن مؤمنون ، ومن أمّة محمد ، استمعوا إلى قوله تعالى :

﴿ قُلْ فَلَمْ يُعَذِّبْكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ﴾

[سورة المائدة الآية : ١٨]

إذاً لستُ أحبابه ، لو كنتُ كذلك لما عذّبكم ، هكذا استبط الإمام الشافعي رضي الله عنه : إنَّ اللَّهَ لَا يَعْذِبُ أَحْبَاؤَهُ ، بِلَيْتَهُمْ وَيَمْتَحِنُهُمْ ، لا تستقرّ حياتهم على العذاب ، قد يأتي العذاب طارئاً ليُمْتَحِنَ إيمانهم ، وصبرهم ، وتوكلهم ، ولطيهّرهم ، وليرغف لهم ، وليسوا بهم ولكنَّ هذا موقت ، أما حياتهم فستُقرّ على الإكرام ، قال تعالى :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحْبَاؤُهُ قُلْ فَلَمْ يُعَذِّبْكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بِلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّنْ ﴾

خلق

[سورة المائدة الآية : ١٨]

النميمة :

أيها الإخوة المؤمنون ؛ هذه الآيات الكريمة ، أما ما يتعلق بالأحاديث الشريفة فقد اخترت لكم مجموعةً من الأحاديث ، وبعض القصص المتعلقة بِمَرْضٍ خطيرٍ خطير !!!

إِنَّهَا النَّمِيَّةُ .

تُطْلُقُ النَّمِيَّةَ يَا إِخْوَةَ الْإِيمَانِ عَلَى مَنْ نَمَّ ؛ أَيْ نَقْلَ قَوْلَ إِنْسَانٍ إِلَى الْمَقْوُلِ فِيهِ ، قَلْتَ عَنْ فَلَانَ كَذَا وَكَذَا ، فَجَاءَ السَّامِعُ وَنَقْلَ إِلَى فَلَانَ مَا قَلَّتْ فِيهِ ، وَهَذِهِ النَّمِيَّةُ قَالَ اللَّهُ عَنْهَا :

﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَازَ مَشَاءَ بَنَمِيْمَ * مَنَاعَ لِلْخَيْرِ مُعْنَدَ أَثْيَمَ * عَتْلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمَ * أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تُتَلَّى عَلَيْهِ آيَاتِنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوْلَيْنَ ﴾

[سورة القلم الآيات : ١٠ - ١٥]

قَالَ تَعَالَى :

﴿ وَيَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَدًا * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلَا لَيُنَبَّدَنَّ فِي الْحُطْمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ ﴾

[سورة الهمزة الآيات : ١ - ٥]

عَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَجُلًا يَنْعِمُ الْحَدِيثَ فَقَالَ حُذَيْفَةُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

((لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَامٌ))

[رواہ مسلم]

عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ كَانَ رَجُلٌ يَرْقَعُ إِلَى عُثْمَانَ الْأَحَادِيثَ مِنْ حُذَيْفَةَ قَالَ حُذَيْفَةُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

((لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ يَعْنِي نَمَاماً))

[رواہ أحمد]

عَنْ أَبْوَ هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((إِنَّ أَحْبَكُمْ إِلَيَّ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا الْمَوْظُوْنُ أَكْنَافًا ، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ . وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ - اسْمَ تَفْضِيلِ أَيِّ أَشَدَّ الْعِبَادَ بَعْضًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى - الْمَشَاؤُونَ بِالنَّمِيَّةِ ، الْمَفْرُوقُونَ بَيْنَ الْأَحَبَةِ ، الْمُلْتَمِسُونَ لِلْبَرَاءَةِ الْعَيْبِ))

[أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط والصغرى]

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : مِنْ أَشَاعَ عَلَى مُسْلِمٍ كَلْمَةً لِيَشِينَهُ بِهَا بَغِيرِ حَقِّ شَانَةِ اللَّهِ بِهَا فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وَاللَّهُ أَيَّهَا الْقُرْآنُ لِتَقْصِمَ الظَّهَرَ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشْيَعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة النور الآية : ١٩]

سَمِعَ عَنْ مُسْلِمٍ خَبَرًا سَيِّئًا مَا نَقْلَهُ ، وَمَا أَشَاعَهُ ، وَمَا رَوَّجَهُ ، لَكِنَّهُ فَرَحَ بِهِ ، فَرَحَهُ بِهِ يَضْعُفُهُ مَعَ الْمَنَافِقِينَ .

إذا بلغك عن مؤمنٍ خبرٌ لا يسرّ ، وفرحتَ بهاـ الخـير ، وارتاحتْ نفسك له ، ولم تتنقله ، ولم تُشِعـهـ ، ولم تروـجـهـ ، فـرـحـكـ فقط يجعلـكـ معـ المـنـافـقـينـ ، منـ أـشـاعـ علىـ مـسـلـمـ كـلـمـةـ لـيـشـيـنـهـ بهاـ بـغـيرـ حقـ شـانـهـ اللهـ بهاـ يـوـمـ الـقيـامـةـ .

وفي حديث آخر : أـرـجـلـ أـشـاعـ علىـ رـجـلـ كـلـمـةـ لـيـشـيـنـهـ بهاـ فيـ الدـنـيـاـ كانـ حـقـاـ علىـ اللهـ أـنـ يـذـيـهـ بهاـ يـوـمـ الـقيـامـةـ فيـ النـارـ .

منـ شـهـدـ عـلـىـ مـسـلـمـ بـشـهـادـةـ لـيـسـ بـهـاـ بـأـهـلـ ؛ـ شـهـادـةـ زـورـ ،ـ فـلـيـتـبـوـاـ مـقـعـدـهـ مـنـ النـارـ ،ـ إـنـ ثـلـثـ عـذـابـ القـبـرـ مـنـ التـمـيمـةـ .

((عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل لما خلق الجنة قال لها : تكلمي ، فقلت : سعد من دخلني ، فقال الله جل جلاله : وعزتي وجلالي لا يسكن فيك مُدْمِنُ حُمْرٍ ، ولا مُصْرٍ على الزنا ، ولا قَنَّاتٍ أَيْ نَمَامٍ ، ولا دَيْوَثٍ))

الديوث : هو الذي لا يغار على عرضه ، زوجته في الشرفة تنشر الغسيل بقمعص النوم ، وهو يراها ولا يغار ، ويمشي معها وهي في أبيه زينة ، يفخر بجمالها ؛ هذا عند الله ديوث وهو لا يريح رائحة الجنة .

((ولا دَيْوَثٍ ، ولا قَاطِعَ رَحْمٍ))

سؤال بعضهم عالمًا :

قال أخبرني عن السماء وما أنتل منها ؟ وعن الأرض وما أوسع منها ؟ وعن الصخر وما أقصى منه ؟ وعن النار وما أحـرـ منها ؟ وعن الزمهرير وما أبـرـدـ منه ؟ وعن البحر وما أغـنـىـ منه ؟ فقال هذا العالم : البهتان على البريء أنتلـ منـ السـماـواتـ وـالـأـرـضـ ،ـ وـالـحـقـ أـوـسـعـ مـنـهـماـ ،ـ وـقـلـبـ القانع أغـنـىـ منـ الـبـحـرـ ،ـ وـالـحـرـصـ وـالـحـسـدـ أحـرـ منـ النـارـ ،ـ وـالـحـاجـةـ إـلـىـ اللـئـيمـ أـبـرـدـ منـ الزـمـهرـيرـ ،ـ وـقـلـبـ الكـافـرـ أـقـسـىـ منـ الصـخـرـ ،ـ وـأـذـلـ شـيـءـ النـمـامـ إـذـاـ بـاـنـ أـمـرـهـ .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ روـيـ عنـ عمرـ بنـ عبدـ العـزـيزـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ أـنـ رـجـلاـ دـخـلـ عـلـيـهـ فـذـكـرـ لهـ عنـ رـجـلـ شـيـئـاـ ،ـ فـلـانـ فـعـلـ كـذـاـ ،ـ أـوـ فـلـانـ قـالـ فـيـ حـقـ كـذـاـ ،ـ فـقـالـ سـيـنـاـ عـمـرـ :ـ إـنـ شـتـ نـظـرـنـاـ فـيـ أـمـرـكـ فـإـنـ كـنـتـ كـانـبـاـ فـأـنـتـ مـنـ أـهـلـ هـذـهـ الـآـيـةـ :

﴿ يـاـ أـيـهـاـ الـذـيـنـ أـمـنـواـ إـنـ جـاءـكـمـ فـاسـقـ بـنـبـأـ فـتـبـيـنـواـ أـنـ تـصـبـيـوـاـ قـوـمـاـ بـجـهـالـةـ فـتـصـبـحـوـاـ عـلـىـ مـاـ فـعـلـتـمـ نـادـيـنـ ﴾

[سورة الحجرات الآية : ٦]

وإنـ كـنـتـ صـادـقاـ فـمـنـ أـهـلـ هـذـهـ الـآـيـةـ :

﴿ وـلـأـ تـطـعـ كـلـ حـلـافـ مـهـيـنـ *ـ هـمـازـ مـشـاءـ بـنـمـيـمـ *ـ مـنـاعـ لـخـيـرـ مـعـنـدـ أـثـيـمـ *ـ عـتـلـ بـعـدـ ذـلـكـ زـنـيـمـ *ـ أـنـ كـانـ ذـاـ مـاـلـ وـبـيـنـ *ـ إـذـاـ تـتـلـىـ عـلـيـهـ آـيـاتـاـ قـالـ أـسـاطـيـرـ الـأـوـلـيـنـ ﴾

[سورة القلم الآيات : ١٥ - ١٠]

وـإـنـ شـتـ عـفـونـاـ عـنـكـ ،ـ فـقـالـ :ـ يـاـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـيـنـ ،ـ الـعـفـوـ وـلـأـ عـودـ إـلـىـ هـذـاـ أـبـداـ !

إِمَّا أَنْهُ كاذِبٌ ، وَإِمَّا أَنَّهُ صادِقٌ ، فَهُوَ النَّامُ ، وَإِنْ شَتَّتْ عَفْوُنَا عَنْكُ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
العَفْوُ .

حَكِيمٌ زَارَهُ أَحَدُ إِخْرَانِهِ فَأَخْبَرَهُ بِخَبَرٍ عَنْ أَحَدِ أَصْدِقَائِهِ ، فَقَالَ الْحَكِيمُ : أَتَيْتَ ثَلَاثًا ؟ بَغَضْتَ أَخِي
إِلَيْ ، وَشَغَلْتَ قَلْبِي ، وَاتَّهَمْتُكَ بِنَفْسِي .

وَالْحَسْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : مَنْ نَمَ إِلَيْكُ ، نَمَ عَلَيْكُ ، هَذَا الَّذِي يَنْقُلُ إِلَيْكُ أَخْبَارًا سَيِّئَةً قَالَهَا
فِيكُ أَنَّاسٌ ، هُوَ نَفْسُهُ سُوفَ يَنْقُلُ لَهُمْ أَخْبَارًا سَيِّئَةً قَلْتُهَا فِي حَقِّهِمْ ، مَنْ نَمَ إِلَيْكُ ، نَمَ عَلَيْكُ .
وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ مِنْ أَشَرِ النَّاسِ مِنْ اتِّقَاهُ النَّاسُ لِشَرِّهِ ، لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ فَسْرِهَا الْعُلَمَاءُ
قَاطِعُ بَيْنِ النَّاسِ وَهُوَ النَّامُ ، وَالسَّعَيْةُ عَرَفَهَا الْعُلَمَاءُ بِأَنَّهَا إِلْفَسَادُ بَيْنِ النَّاسِ ، وَقَبُولُ السَّعَيْةِ شَرِّ
مِنَ السَّعَيْةِ ، وَاتَّقُوا السَّاعِيَ وَلَوْ كَانَ صَادِقًا ، إِنْ كَانَ صَادِقًا فِي قَوْلِهِ فَهُوَ لَثِيمٌ فِي صَدْفَهِ ، يَقُولُ
لَكَ : هُوَ قَالَ عَنْكَ كَذَا ، وَاللَّهُ هُوَ قَالَ ، لَمْ نَقْلَتْهُ إِلَيْ ؟ كَانَتْ هُنَاكَ مُودَّةً فَزَالتْ وَأَلْفَةً فَتَحَطَّمَتْ ،
كَانَ هُنَاكَ تَعَاوُنٌ فَصَارَ هُنَاكَ تَنَافُسٌ ، لَكِنَّ هَذَا الصَّدْقُ فِيهِ لُؤْمٌ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : السَّعَيْةُ قَبِيْحَةٌ
وَلَوْ كَانَتْ صَحِيْحةً .

أَيُّهَا الإِخْرَانِ الْمُؤْمِنُونَ ؟ حَاسِبُوكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحْسِبُوكُمْ ، وَزِنِنُوكُمْ أَعْمَالَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَوْزِنَ عَلَيْكُمْ ،
وَاعْلَمُوكُمْ أَنَّ مَلِكَ الْمَوْتِ قَدْ تَخَطَّنَا إِلَى غَيْرِنَا ، وَسَيَتَخَطَّ غَيْرِنَا إِلَيْنَا فَلَنْتَخَذْ حَذْرَنَا ، الْكِيسُ مِنْ
دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لَمَّا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْعَاجِزُ مِنْ أَتَبَعَ نَفْسَهُ هُوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِيِّ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الخطبة الثانية :

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلِيَ الصَّالِحِينَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولَهُ صَاحِبَ الْخَلْقِ
الْعَظِيمِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسِلِّ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وَمَا يَعْلَمُ جُنُودُ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ .

وَمَا يَعْلَمُ جُنُودُ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ : الإِيْدِيزُ جُنُودُ اللَّهِ .

أَيُّهَا الإِخْرَانِ الْمُؤْمِنُونَ ؟ مَرْضُ الإِيْدِيزِ الَّذِي كُنْتَ قَدْ تَحَدَّثَتْ عَنْهُ مَرَارًا ، وَالَّذِي هُوَ كَمَا يَقُولُ
الْعُلَمَاءُ فِيْرُوسٌ يَسْبِبُ انْهَالَ الْمَنَاعَةِ فِيِ الْإِنْسَانِ ، وَالَّذِي بَلَغَتِ الإِصَابَاتُ فِيِ الْأَمْرِيْكَا وَحْدَهَا
خَمْسَةُ عَشَرَةُ مَلِيْونٍ إِصَابَةً ، هَذَا الْمَرْضُ مِنْ جُنُودَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾

[سورة المدثر الآية : ٣١]

إِنَّهُ عَقَابٌ دُنْيَوِيٌّ عَلَى الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ ، أَخْبَارُ هَذَا الْمَرْضِ لَيْسَتْ عَنِّي بِعَيْدٍ ، إِنَّ كُلَّ مَجْلَةً لَا
بَدَّ مِنْ مَقَالٍ يَتَحَدَّثُ عَنْ هَذَا الْمَرْضِ .

وَمَا يَعْلَمُ جَنُودُ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ : الْجَرَادُ جَنُودُ اللَّهِ .

وَالْجَرَادُ أَيْضًا مِنْ جَنُودِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جَنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾

[سورة المدثر الآية : ٣١]

وَمَا يَعْلَمُ جَنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ : السَّمْكُ الْهَلَامِيُّ جَنُودُ اللَّهِ .

وَالْيَوْمُ الْحَدِيثُ عَنْ ذَلِكَ السَّمْكِ الْهَلَامِيِّ ، الَّذِي غَزَا بِالْمَلَائِكَ شَوَاطِئَ فَرْنَسَا وَإِيطَالِيَا وَالْبَلْقَانِ ،
وَحَوَّلَهَا إِلَى أَرْضِ شَائِكَةٍ شَبِيهَةٍ بِغَبَابَاتِ الْشَّاعِبِينَ .

ثَمَّةُ سَابِحٌ أَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ ، كَانَ يَسْبُحُ بَعِيدًا عَنِ الشَّاطِئِ الصَّخْرِيِّ قُرْبَ إِثِينَا ، قَالَ :
شَعَرْتُ فَجَاهًا بِالْمُشَدِّدِ فِي سَاقِي ، كَالْأَلْمَ الَّذِي تُحَدِّثُهُ لَسْعَةُ مِكْوَاهٍ حَامِيَّةٍ ، وَبَعْدَ رُبْعِ سَاعَةٍ
شَعَرْتُ بِمَا يُشْبِهُ وَخَرَ الدَّبَابِيَّسِ فِي رَأْسِي ، ثُمَّ أُغْمِيَ عَلَيَّ ، وَحِينَمَا أُسْعِفْتُ ، وَفَحَصَنِي الْطَّبِيبُ ،
وَجَدَ ضَغْطِي يُقَارِبُ الصَّفَرَ .

وَقَدْ قَدَّرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءَ أَنَّ عَدْدَ السَّمْكِ الْهَلَامِيِّ فِي الْأَمَاكِنِ الَّتِي يَغْزُوهَا يَزِيدُ عَنِ خَمْسِ وَعِشْرِينَ
سَمْكَةً فِي الْمِتْرِ الْمَكْعَبِ الْوَاحِدِ ، وَأَنَّ سَرْبًا طَوْلَهُ مَتْرِيْنَ يَحْتَوِي عَلَى الْمِلَيارِاتِ مِنْ هَذَا السَّمْكِ
وَيَتَّقَّنُ عَلَمَاءُ الْحَيَاةِ عَلَى أَنَّ لِهَا السَّمْكُ مَنْطَقٌ وَاضْعَفُ فِي تَحْرِكَاتِهِ لِمَا غَزَا هَذِهِ الشَّوَاطِئِ ؟
لَا نَعْلَمُ ! هَلْ هُنَاكَ قَاعِدَةٌ ؟ لَا ، وَهُلْ هُنَاكَ دُورَاتٌ ثَابِتَةٌ ؟ لَا ، وَالسَّمْكُ الْهَلَامِيُّ أَنْوَاعٌ تَرِيدُ عَنِ
الْأَلْفِ ، يَبْلُغُ قَطْرُ بَعْضُهَا مَتْرِيْنَ ، وَلَسْعَةُ السَّمْكِ الْهَلَامِيِّ الْأَسْتَرِيَّ تَؤَدِّي إِلَى الْمَوْتِ فِي غُضُونِ
دَقَائِقٍ ، لِيَسْ لِهَا السَّمْكُ الْهَلَامِيُّ أَعْيُنٌ وَلَا آذَانٌ ، وَلَا أَدْمَغَةٌ أَجْسَامُهَا شَفَافَةٌ ، تَبَدُّو رِقْيَةٌ نَاعِمةٌ
أَنْسِيَابِيَّةٌ ، يَشَكَّلُ الْمَاءُ فِيهَا ثَمَانِ وَتِسْعِينَ بِالْمِائَةِ ، تَنْجَلِي مِنْ جَسْمِهَا مَجَسَاتٌ سَامَّةٌ دَقِيقَةٌ ، مِثْلُ
الْخِيُوطِ ، يَصْنَعُ بَرَوْبِتها ، وَالْمَجَسَاتُ هَذِهِ قَابِلَةٌ لِلتَّمَددُ ، نَحْوِ ثَمَانِينَ سَنْتِمِترٍ لِأَنَّهَا مَخْزُونَةٌ فِي
حَقْبِهِ عَلَى شَكْلِ نَوَابِضٍ ! فَمَا إِنْ يَلْمِسُ هَذَا السَّمْكُ الْهَلَامِيُّ جَسْدًا حَتَّى تَنْطَلِقُ مَلَائِكَ الْخِيُوطِ مِنْ
أَعْقَلَتِهَا لِتَنْتَفَ السَّمَّ فِي جَسْمِ ضَحْيَتِهَا .

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُؤْمِنُونَ ؟ يَنْصَحُ الأَطْبَاءُ بِتَجْمِيدِ الشَّوَاطِئِ بِوَحْدَاتِ إِسْعَافٍ وَيَنْصَحُ الأَطْبَاءُ
السَّبَاحِينَ أَنْ يُزَوِّدُوا بِحُقْنَ الْكُورْتِيزُونَ لِأَنَّ هُنَاكَ لَسْعَاتٌ مَمِيتَةٌ .

تَعْلِيقِي عَلَى هَذِهِ الْمَعْلُومَاتِ الَّتِي نَشَرَتْهَا مَجَلَّةٌ عَالَمِيَّةُ حَوْلَ هَذَا السَّمْكِ الْهَلَامِيِّ أَنَّهُ إِذَا اتَّفَقَ
عَلَمَاءُ الْحَيَاةِ الْبَحْرِيَّةِ عَلَى أَنَّهُ لِيَسْ ثَمَّةَ مَنْطَقٌ وَاضْعَفُ فِي تَحْرِكَاتِهِ هَذَا السَّمْكُ الْهَلَامِيُّ ، فَإِنَّ
عَلَمَاءَ التَّوْحِيدِ يَتَقَوَّنُ عَلَى أَنَّ هَذَا السَّمْكُ الْهَلَامِيُّ يَتَحَرَّكُ وَفْقَ خَطَّةٍ وَاضْحَاهٍ ، وَهَدْفُهُ وَاضْعَافُهُ

رسمه له ربُّه الذي خلقه ، إنَّ هذا السمك يتحرَّك نحو الشواطئ التي كثُر فيها الفساد في الأرض ، ربُّنا عز وجل يقول :

﴿ ظَاهِرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقُهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَنْهُمْ
يَرْجِعُونَ ﴾

[سورة الروم الآية : ٤١]

وربُّنا عز وجل يقول :

﴿ الَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكَبِيلٌ ﴾

[سورة الزمر الآية : ٦٢]

لا يُسمح لهذا السمك بالتحرَّك إلا وفق مشيئة الله ، وخطبة دقيقة رسمها له ربُّه الذي خلقه ، وما من إنسانٍ يحرِّك شيئاً من دون هدف ، فكيف بربِّ العالمين ؟ أيتحرَّك هذا السمك نحو تلك الشواطئ بلا هدف ؟ قال تعالى :

﴿ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ أَخْذَ بِنَاصِيَتِهَا ﴾

[سورة هود الآية : ٥٦]

قال تعالى :

﴿ الَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكَبِيلٌ ﴾

[سورة الزمر الآية : ٦٢]

قال تعالى :

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى
اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾

[سورة الحديد الآية : ٢٢]

عوْدٌ على بدء ، قال تعالى :

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾

[سورة المدثر الآية : ٣١]

الإيدز من جنود الله عز وجل ، والجراد من جنود الله عز وجل ، وهذا السمك الهلامي الذي غزا شواطئ فرنسا وإيطاليا واليونان وجعلها كالغابة من الثعابين ، إنَّ الله سبحانه وتعالى حرَّكها لتُضَعَ للفساد حداً .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيما هديت ، وعافنا فيما عافيت ، وتولّنا فيما تولّت ، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرِف عنّا شرَّ ما قضيت فإنَّك تقضي ولا يقضى عليك ، إنه لا يذلُّ من وليت ، ولا يعزُّ من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت ، ولك الحمد على ما قضيت نستغفر لك اللهم ونتوب إليك ، اللهم هب لنا عملاً صالحًا يقربنا إليك ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، وأكرمنا ولا تهنا ،

وأثربنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارض عنا ، وأصلاح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلاح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلاح لنا آخرتنا التي إليها مردنا ، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير ، واجعل الموت راحةً لنا من كل شرّ ، مولانا رب العالمين ، اللهم اكفنا بحالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك ، اللهم لا تؤمنا مكرك ، ولا تهلك عنا سترك ، ولا تتسلينا ذرك ، يا رب العالمين ، اللهم إنا نعوذ بك من عُضال الداء ومن شماتة العداء ، ومن السَّلْب بعد العطاء ، يا أكرم الأكرمين ، نعوذ بك من الخوف إلا منك ، ومن الذل إلا لك ، ومن الفقر إلا إليك ، اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيده ولاتهم إلى ما تحب وترضى إله على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير.

والحمد لله رب العالمين